كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مقياس: "علم الاجتماع اللغوي"

مستوى: السداسي الرابع

إعداد الدكتورة: بن عزوز حليمة

الرتبة: أستاذة محاضرة قسم "أ"

العام الجامعي:2019-2020

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الأولى: منزلة اللغة في علم الاجتماع اللغوي

تعدّ اللغة من أعظم الاكتشافات التي عرفها الإنسان " إنّ أعظم اكتشاف عرفه الإنسان على مرّ العصور هو اللغة"[1] ولعلها أبرز ما يكسبه سمة الإنسانية ويميزه عن غيره من الحيوانات ومن حسن الصنيع أن نعرف الإنسان على أنه "لسان" فـ "شكرا للغة التي صار فيها الإنسان إنسانا" كما يقول (ولهم همبولدت)[2] وشكرا للغة التي لم تتفتح إنسانية الجنس البشري تفتحها العجيب إلا عندما تمكن الناس من التعبير عن اختلاجاتهم بهذه الأداة المثلى التي بها يفكرون وينطقون وصاروا بفضلها اجتماعيين فاعلين ومنفعلين[3]

وقد كانت اللغة ومازالت وستظل إحدى القوى التي ساعدت الكائنات البشرية على الخروج من العالم الحيواني والانطواء في جماعات فهي اللغة التي تسهم في تطور القدرة على التفكير وتنظيم الحياة الاجتماعية وتحقيق درجة التقدم التي عليها الإنسان لأن الكلام يفتح العالم المغلق ويسمح لنا بالخروج عنه –إنه صانع للحياة الاجتماعية–

واللغة عند "همبولت" تجسد الوسيلة التي يتكون بها التفكير كونها الأداة التي تعبر عن الروح القومية كما تشير إلى تلك النظرة الكونية الشاملة التي تنفرد بها جماعة من الجماعات وليس تنوع اللغات إلا دليلا عن تنوع العقليات.

---

[1] علم اللغة الاجتماعي عند العرب، هادي نهر، الطبعة الأولى، 1408هـ/ 1988م، ص: 17

[2] عن المرجع السابق، اللغة بين العقل والمغامرة، مصطفى مندور، الإسكندرية، 1974م، ص: 19

[3] علم اللغة الاجتماعي(مرجع سابق)، ص: 17

فاللّغة على هذا الأساس ليست عنصرا من عناصر الحضارة فحسب بل إنها أصل لكلّ أنواع النشاط الحضاري ومن ثمّ فهي أقرب الأدلة وأقواها عند استقصاء الملامح الخاصة لأي مجتمع وإننا لا يمكن أن نتعرف على أي نشاط إنساني إلا من خلال اللغة وباللغة.

وقد نشأت اللغة نتيجة احتياجات الفرد والجماعة لتغدو بذلك أحد أهم العوامل المؤثرة في كيان المجتمع باقية ببقائه زائلة بزواله.

إذ لا يمكن فهم اللغة واستيعاب قوانين تطورها في عزلة عن حيز المجتمع الناطق بها لاعتبارها "استجابة ضرورية لحاجة الاتصال بين الناس[4] ففي أحضان المجتمع تكونت اللغة ووجدت يوم أحس الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم وتنشأ من احتكاك بعض الأشخاص الذين يملكون أعضاء الحواس ويستعملون في علاقاتهم الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرفهم "الإشارة إذا أعوزتهم الكلمة والنظرة إذا لم تكف الإشارة"[5]

وعليه، فإنّ اللغة وعاء للفكر ليست مجرد رموز ومواصفات فحسب لكنها منهج وفكر وأسلوب وتصور لواقع الأمة والحياة تخضع لمؤثرات شتى إضافة إلى أنّ اللغة هي الأساس في تشكيل أنماط سلوك الإنسان وطرائق تفكيره وطموحاته ومثله ونظرته إلى الآخرين وجوه العقلي والثقافي... إنها تشكل عالمه المعرفي ، إنّ كفاية الإنسان للحياة تعني القدرة على أن يتكلم ويكتب ويسمع ويقرأ بطريقة تزيد فرصه وفرص الناس جميعا ليعيشوا معا [6]

[4] علم اللغة، حاتم صالح الضامن، كلية الآداب، جامعة بغداد، بيت الحكمة، مطبعة التعليم العالي بالموصل، المكتبة الوطنية ببغداد، 1989م، ص: 36

[5] عن علم اللغة، حاتم صالح الضامن، اللغة: فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة، 1950م، ص: 35

[6] الازدواجية اللغوية، مفاهيم وإرهاصات، دليلة فرحي، مجلة المخبر (أبحاث في اللغة والأدب الجزائري)، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة بسكرة

وبما أنّ اللسان مؤسسة اجتماعية كونه يعكس كلّ ما يجري في كنف المجتمع، فإنّ علم اللغة يتصل اتصالا شديدا بالعلوم الاجتماعية ذلك لأن اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية أصبحت تدرس في علاقتها بالمجتمع لأنّ الإنسان لا يولد متكلما بالفطرة وإنما يكتسب لغة المجتمع الذي ينشأ ويترعرع فيه فمن نشأ في مجتمع عربي اكتسب العربية ومن نشأ في مجتمع فرنسي اكتسب الفرنسية وما إلى ذلك ومعنى هذا أنّ الطفل يكتسب اللغة من الجماعات اللغوية التي يعيش بينها بكلّ السمات وملامح الواقع الاجتماعي وما بينهما من درجات التفاوت والتباين ولهذا نالت اللغة اهتمام الكثيرين من العلماء على اختلاف مذاهبهم[7]

ولهذا، يحدث تأثر وتأثير بين اللغة والمجتمع وما يطرأ على كلّ منهما من تغير وتطور ولذلك يتوصل إلى بعض القوانين التي تحكم الاستعمال الفعلي للغة في مجتمع معين باعتبار أنّ الفرد عضو في مجتمعه الكبير وعضو في الحي والقرية والقطر لأنه يؤثر في اللغة التي يتكلمها أفراد مجتمعه[8]

وعليه، فإنّ اللغة ظاهرة اجتماعية أو بالأحرى أداة للتعبير عما يدور في ثنايا المجتمع ذلك لأنها تتوخى سمات الدقة و الوضوح في نقل الصور المختلفة المتعددة الوجوه لهذا المجتمع من حضارة وعقائد ونظم وعادات وتقاليد واتجاهات فكرية وثقافية وعلمية وفنية واقتصادية وغير ذلك.

---

[7] الازدواجية اللغوية في الجزائر المستقلة، بوزيد ساسي هادف، قسم الحقوق والآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة قالمة، الجزائر

[8] أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما، سلسلة كتب يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، د/ط 1990م، ص: 170- 185

المحاضرة الثانية: منزلة اللغة في علم الاجتماع اللغوي(تابع)

إنّ اللغة لمن أعرف مظاهر الحضارة الإنسانية بل هي أصل كحضارة وصانعة للرقي والتقدم ذلك لأنها تؤلف الحدّ الفاصل بين شعب وشعب وبين أمة وأمة بل وبين حضارة وحضارة لأنّ الأفراد الذين يتكلمون لغة واحدة لا يتفاهمون بيسر وسهولة فحسب وإنما هم قادرون على أن يؤلفوا مجتمعا لسانيا موحدا متجانسا لأنّ اللغة هي قوام الحياة الروحية والفكرية والمادية بها يعمق الإنسان صلته وأصالته بالمجتمع الذي يولد وينشأ ويعيش فيه حيث تجعل اللغة من أفراده أمة متماسكة لأصول موحدة الفروع.

إنّ تعريف اللغة مغامرة غير مأمولة العواقب خاصة إذا ما وضعنا تعريفا عاما للغة في سطور قليلة أو حتى في فقرات طويلة لأنّ اللغة ظاهرة شديدة التعقيد ولكن لكثرة ألفتها قد تقع في شرك الظن بأننا نعرفها أو نعرف عنها كل شيء أو نستطيع الإجابة بسهولة ويسر على سؤال بسيط وواضح مثل: "ما اللغة؟" ولعل علماء اللغة لم يختلفوا وكثيرا ما يختلفون حول أمر من أمور اللغة كما اختلفوا حول وضع تعريف دقيق لها أو كما يقول المناطقة "أوضع تعريف جامع مانع لها؟"حتى يبدو لنا أحيانا أنّ الهدف النهائي من الدراسات اللغوية بمناهجها ومدارسها المختلفة ليس إلا محاولة لفهم وتحديد هذه الظاهرة التي تسمى اللغة ومن ثمّ الوصول إلى مفهوم دقيق لها ولا شك أنّ صعوبة وضع تعريف للغة إنما هو ناجم عن طبيعة اللغة ذاتها والمعلوم لدينا أنّ اللغة فضلا عن كونها عربية أو إنجليزية أو فرنسية أو صينية أو عبرية... أو ظاهرة عقلية وعضوية ونفسية خاصة بالإنسان دون غيره من الكائنات الحية فهي صفة مميزة للنوع البشري ولعلّ ذلك ما جعل أرسطو (ت332ق م) يعرف الإنسان بأنه حيوان ناطق ومادامت اللغة على هذا النحو من التعقيد فهي تطرح

على الإنسان وعلى عالم اللغة بالذات عددا لا يعد ولا يحصى من القضايا والمسائل التي تؤدي في النهاية إلى معرفة الإنسان في ذاته وفي أكمل صور المعرفة وأوضاعها ولذلك وقف الناس وعلماء اللغة قديما وحديثا بوجه خاص أمام هذه الظاهرة بكلّ أهميتها وغموضها وتعقيدها محاولين الكشف والتفسير والتحليل وانتهى بعضهم إلى وضع تعريف للغة واكتفى أكثرهم بالوصف دون التعريف ومن هنا ظهرت في تاريخ الفكر اللغوي تعريفات اختلفت وتداخلت وتعارضت أحيانا تبعا لاختلاف وتداخل المدارس اللغوية والفكرية التي ينتمي لها علماء اللغة وغيرهم من الفلاسفة والمفكرين الذين اهتموا بهذه الظاهرة العجيبة الغريبة التي تسمى اللغة يستوي في ذلك العرب وغيرهم من اللغويين قدماء ومحدثون ومعاصرون وقد حاول العلماء والمفكرون واللغويون على مرّ العصور أن يسيروا غور هذه الظاهرة الفريدة العريقة في حياة البشر وأن يزيحوا الستار بين سر أصلها ونشأتها إلا أنّ عراقة اللغة وقدمها حالا دون الوصول إلى سرّ الأصل والنشأة فأنصار اللغويين والعلماء منهم خاصة خاضوا في سرّ النشأة ومتاهات الأصل والتفتوا إلى اللغة ذاتها يحللونها ويدرسونها تحدوهم في ذلك تساؤلات –كانت وما زالت– تتحدى عقولهم منها :"مما تتركب اللغة؟ وكيف تتركب؟ وما وظيفتها في حياة الناس والمجتمع؟ وما علاقتها بالفكر والنفس؟ أهناك فرق بين لغة وأخرى؟ أم أنّ اللغات تتشابه؟ وإن كانت تتشابه، فما أصل هذا التشابه ومظاهره ؟ وإن كانت تختلف، فما حقيقة هذا الاختلاف وحدوده؟ أتبقى ساكنة جامدة على مرّ العصور أم تسمو وتتغير وتتطور ؟ وإن كانت كذلك، كيف يتم ذلك؟ عشرات الأسئلة التي ظلت تلاحق اللغويين والعلماء والباحثين والمفكرين وكذا الفلاسفة ورجال الفكر والفن ، أسئلة ما زالت تتحدى وتلح لتدفع بعجلة الشغف والطموح قدما إلى مزيد من الدرس والتحليل منذ أن بدأ الإنسان يفكر في اللغة باللغة.

ويرى فندريس أنّ اللغة إنما تنتج من الاحتكاك الاجتماعي ثم تصبح عاملا من أقوى العوامل التي تربط أفراد المجتمع الإنساني حتى أنّ علماء الاجتماع يجمعون على أنّ الظواهر الاجتماعية لها قوة قاهرة آمرة تفرض بها على أفراد المجتمع ألوانا من السلوك والتفكير والعواطف وتحتم عليهم أن يصبوا سلوكهم وتفكيرهم وعواطفهم على حدّ تعبيرهم.

ومن الأمثلة على وجود هذا القهر أنّ المجتمع لا يسمح لنا على سبيل المثال أن نتحدث باللغة العربية لمن لا يفهمها ولا أن نحدث العامة مثلا باللغة الفصحى- التي لا تسمو إليها مداركهم- فإنّ كلّ من يحاول الخروج على السلوك اللغوي لجماعته يعدّ خارجا على الظواهر الاجتماعية نفسها.

وتعدّ قصة أبي علقمة الثقفي الذي اشتهر باستعمال الغريب والوحشي من الألفاظ في حواره مع طبيب جاءه يشكو إليه من مرض ألمّ به خير مثال لهذه القضية من ثراتنا العربي ذلك أن دخل أبو علقمة على الطبيب فقال له "أمتع الله بك إني أكلت من لحوم هذه الجوازل فطسئت طسأة فأصابني وجع ما بين الوابلة إلى ذأية العنق فلم يزل يربو زينمي حتى خالط الخلب والشراسيف فهل عندك دواء؟" فقال الطبيب:"نعم، خذ خربقا وشلفقا وشبرقا فزهرقه وزقزقه واغسله بماء روث واشربه" فقال أبو علقمة:"لم أفهم عنك" فقال الطبيب"أفهمتك كما أفهمتني"[9]

[9] انظر عيون الأخبار2/162، عن المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب،،ص:126-127

المحاضرة الثالثة: بين علم الاجتماع اللغوي وعلم اللغة الاجتماعي

إنّ اللغة ليست بمعزل عن العلوم الأخرى ذلك لأنّ لها ارتباطا وثيقا بعلوم الطبيعة كما أنّ لها علاقة وطيدة بعلم الإنسان وعلم الاجتماع باعتبارها نتاج علاقة اجتماعية تعتبر من وجهة نظر علم الإنسان مجموعة تقاليد الشعب وأوجه استعمالاته للغته.

وفي سياق الحديث عن علاقة اللغة بالمجتمع الإنساني، يمكننا الإقرار بأنّ اللغة نشاط اجتماعي باعتبارها استجابة ضرورية لحاجة الاتصال بين الناس جميعا ولهذا السبب يتصل علم اللغة اتصالا شديدا بالعلوم الاجتماعية [10] بل وأصبحت بعض بحوثه تدرس في علم الاجتماع فنشأ لذلك فرع منه يسمى "علم الاجتماع اللغوي" يحاول الكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية ويبين أثر تلك الحياة الاجتماعية في الظواهر اللغوية المختلفة[11]

ويمكن تعريف "علم اللغة الاجتماعي" على أنه علم يهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع في حين يمكننا تعريف "علم الاجتماع اللغوي"على أنه علم يدرس المجتمع في علاقته باللغة وهو عكس تعريفنا لعلم اللغة الاجتماعي ولعلّ الملاحظ يلمس أنّ الاختلاف بينهما ليس اختلافا في العناصر وإنما في محور الاهتمام ويسند ذلك إلى الأهمية التي يوليها الدارس للغة أو للمجتمع وإلى مدى مهارته في تحليل البنية اللغوية أو الاجتماعية وهناك قدر كبير من التطابق بين هذين العلمين لأنهما يشتغلان على دراسة محورين رئيسيين ألا وهما : اللغة والمجتمع.

[10] المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1417-1997 ، ص:25

[11] المرجع السابق، الصفحة نفسها

يدرس علم الاجتماع اللغوي اللغة من حيث هي حدث لغوي اجتماعي وبناء على ذلك يقوم بدراسة التنوع اللغوي في استخدام اللغة في مجتمع ما أو عدة مجتمعات تتكلم لغة واحدة أو ما يسمى باللهجات الاجتماعية أو اللهجات الطبقية من حيث خصائصها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية كما يدرس مشكلات الازدواج اللغوي أو تعدد المستويات اللغوية مثل الفصحى والعامية وطبيعة العلاقة بينهما ولغة الإذاعة والصحافة ولغة الدين والسياسة ولغة التعليم والعلاقة بين اللغة والثقافة وبصورة عامة يدرس علم الاجتماع اللغوي التأثير المتبادل بين اللغة والمجتمع.

ولا بدّ أن نشير إلى أنّ علم اللغة الاجتماعي من أكثر الميادين التي أحرزت تقدما سريعا في الدراسات اللغوية الحديثة ذلك لأنه يولي اهتماما بدراسة اللغة في سياقها الاجتماعي كما يدرس الطرائق التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع والطرائق التي تتغير بها البنية اللغوية استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة والتعريف بماهية هذه الوظائف كما يهتم علم اللغة الاجتماعي بموضوعات متعددة تشمل الفصحى والعامية واللهجات وتدرس اللغة وأثر الجنس فيها كما تهتم بدراسة الكلام المحظور اجتماعيا كالكلمات التي ينفر منها المجتمع.

وقد فطن علماء اللغة إلى مثل هذه البحوث وبخاصة بعدما أدركوا قيمة تلك الدراسات التي تقوم عليها المدرسة الاجتماعية الفرنسية التي أنشأها "دوركايم" في أوائل القرن العشرين وانضم إليها عدد كبير من اللغويين في فرنسا وألمانيا وإنجلترا وسويسرا والدانمارك وكثير من أساتذة الجامعات في أوروبا وأمريكا. ونذكر أنّ عددا من العلماء لم ينضم انضماما إيجابيا إلى هذه المدرسة غير أنهم تأثروا بعقلية "دوركايم" وبذلك أصبحت بحوث المدرسة الاجتماعية الفرنسية أساسا للبحوث اللغوية في كثير من الأحيان إذ طبقت نظريات علم

الاجتماع العام على اللغة وحاول الباحثون أن يبينوا لنا أثر المجتمع ونظمه وحضاراته المختلفة على الظواهر اللغوية باعتبار أنّ الإنسان كائن اجتماعي أولا وقبل كلّ شيء ولذلك كانت اللغة كائنا حيا كالإنسان سواء بسواء ذلك لأنها ألصق الظواهر الاجتماعية به.وظهرت الجذور الأولى لعلم الاجتماع اللغوي مع "فاردينان دي سيوسيور" عندما أكد أنّ اللسان مظهر اجتماعي لجماعة بشرية تتميز بخصوصيات ثقافية وحضارية معينة وقد استقى "دي سوسيور" هذا التصور الاجتماعي من العالم الاجتماعي "دوركايم" ومنذ ذلك الحين، غدت اللغة ظاهرة اجتماعية كغيرها من الظواهر الأخرى.

ومن المهم جدّا أن نعترف بأن مصطلح "علم الاجتماع اللغوي" Sociology of Language مصطلح درج بعض الباحثين على استعماله كما لو كان مرادفا لمصطلح "علم اللغة الاجتماعي" Sociolinguistics بمعنى أن المصطلحين يطلقان بالتبادل على شيء واحد من الدرس اللغوي الاجتماعي أو الدرس الاجتماعي اللغوي ويفرق باحثون آخرون بين مدلول المصطلحين وهو عندهم تفريق في درجة الاهتمام بمعنى ان الفرق بين المدلولين يظهر في عمق التركيز على جانب دون جانب آخر أي الاهتمام بالجانب اللغوي أو الاهتمام بالجانب الاجتماعي كما يبرز الفرق عندما يكون الباحث أكثر خبرة وأعمق تخصصا في جانب على غرار جانب آخر أي الجانب اللغوي أو الجانب الاجتماعي[12]

[12] ينظر علم اللغة الاجتماعي، كمال بشر، ص: 42

المحاضرة الرابعة: مواطن اهتمامات علم الاجتماع اللغوي

إنه ممّا لا شكّ فيه أنّ تأثر اللغة بالعادات والتقاليد والنظام الاجتماعي في أزمنة وأمكنة معينة مقترنة بوجود اللغة والحياة الاجتماعية ولهذا ارتبطت دراسة الإنسان بدراسة لغته ارتباطا وثيقا.ويهتم علم الاجتماع اللغوي بموضوعات كثيرة ومتنوعة منها اللهجات ودراسة الكلام المحظور اجتماعيا كالكلمات المبتذلة التي ينفر منها المجتمع أي أنّ هنالك موضوعات عدة تشكل علم الاجتماع اللغوي، نذكر منها:

1- اللهجات: إنّ المجموعة البشرية التي تنتمي إلى رقعة سياسية وحضارية معينة تستعمل أنماطا لهجية متفرعة عن اللغة المثالية[13] كما نلاحظ ذلك أيضا في اللغة الإنجليزية فهي في إنجلترا تختلف عن اللغة الإنجليزية في أمريكا وفي كندا وفي أستراليا وجنوب إفريقيا...

"وقد يؤدي تعدد اللهجات وتباينها في المجتمع الواحد إلى القطيعة والانفصال عن اللغة المشتركة حينما تغيب الروابط السياسية والدينية والاجتماعية وأيضا عندما تنعدم وسائل الاتصال الجماهيري التي لها دور أساسي في هذا الشأن ومن الأمثلة عن ذلك اللغات الأوروبية المعاصرة (الإيطالية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية والرومانية)وقد كانت هذه اللغات لهجات متفرعة عن اللغة اللاتينية[14].

[13] مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: نور الهدى لوشن، جامعة الشارقة، 2008م، ص: 164

[14] مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ص: 21

2- اللهجات الفردية: وترتبط بالطالع الشخصي أثناء الإنتاج الفعلي للكلام ذلك لأنّ لكلّ فرد خصائصه اللغوية المتميزة منها:[15]

أ- النبرة الصوتية: وهي تختلف من شخص إلى شخص آخر.

ب- العادات اللغوية التي تظهر أثناء عملية الكلام.

ج- الانتماء المهني والحرفي وأثره في القاموس اللغوي عند المتكلم.

وهذا ما نعني به أنّ لكلّ شخص خصائصه النطقية والتعبيرية التي يمتاز بها عن سواه من المتكلمين[16]

3- علاقة اللغة بالجنس: هناك فرق جلي بين لغة الرجال ولغة النساء فلكلّ واحد منهما قاموسه اللغوي الخاص به.

4- علاقة اللغة بالتباين الاجتماعي: يولي علم الاجتماع اللغوي اهتماما بارزا بدراسة ظاهرة التفاوت الطبقي ومدى أثرها في النظام اللغوي مقتفيا أثر الفروق اللغوية التي تكمن بين طبقات المجتمع على اختلافها كما يبين أثر ذلك في النظام اللغوي فإذا ما تأملنا المجتمع من خلال طبقاته للمحنا تباينا جليا للاستعمال اللغوي ذلك أنّ لغة الأطباء تختلف عن لغة المهندسين ولغة المهندسين بدورها تختلف عن لغة التجار وحتى لغة التجار أنفسهم تختلف باختلاف نوع التجارة التي يمارسونها وهكذا...

وهنالك نوع آخر من التباين الاجتماعي الذي ينعكس في لغة الأغنياء ولغة الفقراء ولغة سكان المدن ولغة سكان الأرياف.

---

[15] مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي(مرجع سابق)، ص: 164

[16] دراسات في اللسانيات التطبيقية، أحمد حساني، حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجزائرية، بن عكنون، الجزائر، 2009م، د.ت، ص: 36

5- الكلام المحظور: ترتبط هذه الظاهرة ارتباطا وثيقا بالاعتبارات التي تقبل أو ترفض استعمال كلمات معينة مثل الكلمات التي تتصل بالعيوب والعاهات الجسمية وأسماء الأمراض وأجزاء معينة من جسم الإنسان وتلجأ المجتمعات في هذه الحالات المماثلة إلى التعبير بكلمات أكثر لبسا وغموضا وأوسع دلالة عاملة على تهذيب بعض الكلمات مثل : "البصير" لـ "لأعمى" و"انتقل إلى رحمة الله" لـ "مات" و"ذهب إلى الحمام" لـ "قضاء الحاجة"...

6- الجغرافيا اللسانية(اللغوية): إنّ الاهتمام بالعامل الجغرافي أثناء التعامل مع الظاهرة اللغوية نزعة قديمة بقدم البحث اللغوي نفسه ذلك أنّ الدارسين العرب القدامى أسسوا تحرياتهم اللغوية على العامل الجغرافي ويبرز ذلك في حرصهم الشديد على تحديد رقعة الفصاحة تحديدا جغرافيا ويندرج هذا الإجراء فيما يسمى بالبحث في اللسانيات الخارجية[17]

وتقتصر الدراسة في اللسانيات الخارجية على المكان مستندة في ذلك على تنوع الحدث اللغوي ومدى تباينه ودرجة اختلافه من منطقة جغرافية إلى منطقة جغرافية أخرى. وفي هذا السياق يقول فاردينان دي سوسيور"لئن كانت الاختلافات اللغوية الناجمة عن الزمان غالبا ما تغيب عن الملاحظ فإنّ الاختلافات اللغوية بين مكان وآخر تبرز مباشرة للعيان ...إنّ هذه المقارنة بالذات هي التي تجعل شعبا من الشعوب يتفطن إلى أنّ له لسانا خاصا"[18]

ويتم ضبط الاستعمالات اللغوية المتمايزة بكلّ مستوياتها المتعددة من صوتية وصرفية ونحوية(تركيبية) ودلالية وتصنيفها بمقتضى التوزيع الجغرافي للمصدر

[17] دروس في اللسانيات العامة، فاردينان دي سوسيور،ص:285

[18] المرجع السابق، الصفحة نفسها

البشري المستعمل للغة ما بواسطة خرائط وأطاليس لغوية[19] تبين الاختلافات اللهجية للمجموعة البشرية الواحدة.

وخلاصة القول أنّ علم الاجتماع اللغوي علم يهتم بدراسة الخطوط العامة التي تميز المجموعات الاجتماعية من حيث أنها تختلف وتدخل في تناقضات داخل المجموعات اللسانية العامة التي تفصح عن العلاقات الشخصية والقيم الحضارية والاجتماعية إذ لا يمكن فهم اللغة وقوانينها بمعزل عن حركة المجتمع الناطق بها في الزمان والمكان المعينين وهكذا يحصر مايكل هاليداي مواطن اهتمامات علم الاجتماع اللغوي فيما يلي:[20]

- الازدواجية اللغوية والتعدد اللغوي وتعدد اللهجات
- التخطيط اللغوي والتنمية اللغوية
- علم اللهجات الاجتماعي(التنوعات غير المعيارية)
- اللسانيات الاجتماعية والتربية
- الدراسات الوصفية للأوضاع اللغوية(طريقة وأسلوب الكلام)
- السجلات والفهارس الكلامية والانتقال من لغة إلى أخرى
- العوامل الاجتماعية في التعبير الصوتي والنحوي
- اللسان والمجتمع والتواصل الحضاري
- النظرية الوظيفية والنظام اللغوي
- تطور اللغة عند الطفل

[19] الأطالس اللغوية : نوع من الإنجاز الذي يعمل على تحديد الظواهر الأساسية في الاختلاف اللهجي والتنوع اللغوي ويقرب كثيرا من جغرافية اللهجات

[20] من النظرية اللسانية إلى تنظير الواقع، ليلى المسعودي، من أعمال الملتقى الثالث في اللسانيات، تونس 1985، ص: 5- 6

- اللسانيات العرفية (علم اللغة الاثنولوجي)[21]
- دراسة النصوص

[21] علم اللغة الإثنولوجي(Ethnolinguistics) يعنى بدراسة اللغة في علاقتها بالبحوث الخاصة بأنماط السلالات البشرية وأنماط سلوكها

المحاضرة الخامسة: اللغة في كنف علم الاجتماع

إن علم الاجتماع Sociology علم شامل ومتشعب لا وجود له إلا بتماسكه بعلوم إنسانية أخرى إذ لا يمكنه أن يتناول الوقائع المحددة إلا من خلال علم واحد معين من ضمن هذه العلوم "إن علم الاجتماع يتناول النظم الاجتماعية والاقتصادية كما يتناول الأديان وعلم النفس والثقافة واللغة وله اهتمام بالتربية والسياسة والجغرافيا فهناك علم الاجتماع الحقوقي وعلم الاجتماع الاقتصادي وعلم الاجتماع الديني وعلم الاجتماع النفسي وعلم الاجتماع الثقافي وعلم الاجتماع اللغوي وعلم الاجتماع التربوي وعلم الاجتماع السياسي وعلم الاجتماع الجغرافي وكلها مستويات مترابطة تنطلق من المادي الملموس (كالواقع الجغرافي) وصولا إلى المستوى النفسي والعقلي ومرورا بالتنظيمات الاجتماعية والتصرفات والأدوار والمواقف والرموز والقيم[22]

ذلك أن علم الاجتماع إذا وقف على أحد هذه المستويات أو بعضها غدا علما اجتماعيا خاصا منفردا بذاته فالواقع الجغرافي مثلا تعالجه المورفولوجيا الاجتماعية والواقع النفسي يعالجه علم النفس الاجتماعي والواقع الثقافي يعالجه علم الثقافة الاجتماعي والواقع اللغوي يعالجه علم اللغة الاجتماعي أما علم اللغة الأنثروبولوجي فيدرس كيفية إمكانية الظواهر اللغوية أن تكشف عن هوية الفرد أو أن تنسبه إلى عضوية دائرة اجتماعية أو جماعة دينية أو وظيفية أو قرابة معينة[23].

[22] علم اللغة الاجتماعي، كمال بشر :ص: 23

[23] المرجع السابق، ص: 44

وعن علم اللغة الإثنولوجي يمكننا القول أنه العلم الذي يعنى بدراسة اللغة في علاقتها بالبحوث الخاصة بأنماط السلالات البشرية وأنماط سلوكها.

وفي واقع الأمر، إن كل هذه المصطلحات الآنفة ليس لأي منها مفهوم مطلق ولا كيان منعزل فكلها متداخلة بمسمياتها ذات صلة وثيقة من حيث مواضيع الدرس والهدف وطبيعة العمل فيها ويمكننا أن نفسر هذا التشابك من حيث العموم والخصوص بين علم الاجتماع وغيره من العلوم الأخرى ذات الصلة بموضوعنا بالمخطط التالي:

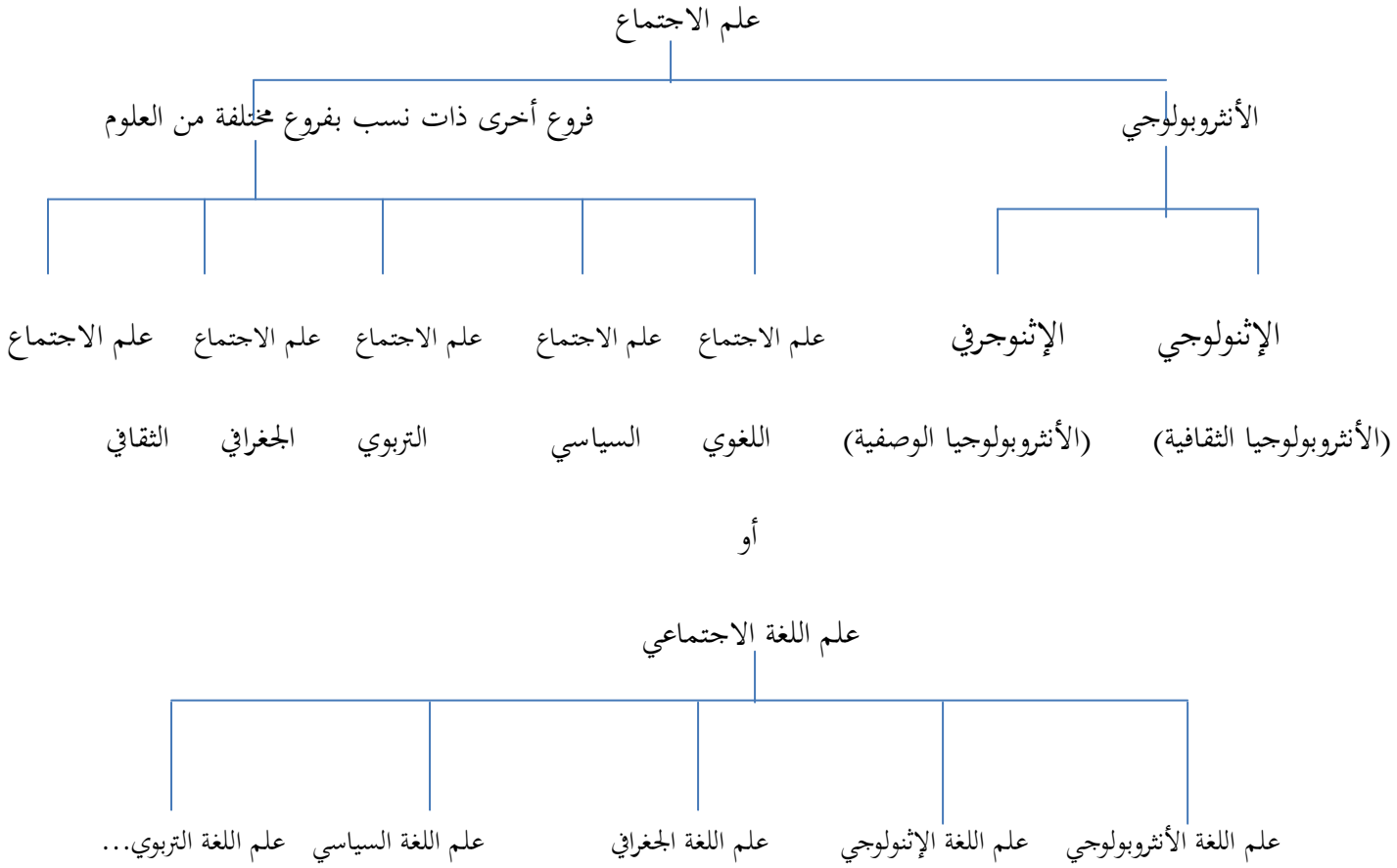

"فكل مجموعة إنسانية مهما صغرت لها لغتها الخاصة بها فهناك في دائرة الأسرة والمكتب والمصنع ومطاعم الجنود والعبارات تتوالد الكلمات والعبارات والمعاني الهامشية والألغاز وطرق التعبير الأخرى التي تختص بهذه البيئات والي يصعب إدراكها على من لم ينتم إليها وهذا هو الحال كذلك في المجموعات الكبرى الذي يربطها رباط المصالح المشتركة كالمهنة والحرفة والتجارة والانتماء إلى مختلف فروع العلم والفن والصحافة والقوات المسلحة والهيئات الأكاديمية والرياضية وغيرها فلكل من هذه المجموعات ثروتها اللفظية الخاصة بها وهي ثروة تعكس خصائص الموضوعات والمناقشات التي يتناولها الأعضاء فيما بينهم وتسهل اتصالهم بعضهم ببعض ولكنها في الوقت نفسه تزيد في الهوة التي تفصلهم عن غيرهم ممن لا ينتمون إليهم. هذا الاتجاه نفسه موجود في اللهجات الطبقية الخاصة كلهجات السوق واللصوص ويقوى هذا الاتجاه في هذه اللهجات النزعة إلى خلق مصطلحات صادقة التعبير وحاوية لعناصر الفكاهة والدعابة وكاشفة عن الروح البيئية الخاصة"[24]

[24] ينظر دور الكلمة في اللغة، تأليف ستيفان أولمان وترجمة كمال بشر، القاهرة، 1962، ص: 153